AL-QANATIR
INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES
eISSN: 2289-9944
Vol. 15. No. 1. July Issue (2019)

GRAMMATICAL COHESION IN THE PROPHET'S LETTERS IN THE LIGHT OF CRITICAL DISCOURSE ANALYSIS

الاتساق النحوي في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم في ضوء تحليل الخطاب النقدي

Sulaiman Ismail[i], Salmah Ahmad[ii], Md Nor Abdullah[iii] & Yuslina Mohamed[iv]

[i] (*Corresponding author*) Senior Lecturer, Faculty of Major Language Studies, Universiti Sains Islam Malaysia (USIM) & Postgraduate Student, Faculty of Islamic Studies, Universiti Kebangsaan Malaysia (UKM). sulaiman.i@usim.edu.my
[ii] Senior Lecturer, Faculty of Islamic Studies, Universiti Kebangsaan Malaysia (UKM). salni@ukm.edu.my
[iii] Senior Lecturer, Faculty of Islamic Studies, Universiti Kebangsaan Malaysia (UKM). monab@ukm.edu.my
[iv] Senior Lecturer, Faculty of Major Language Studies, Universiti Sains Islam Malaysia (USIM). yuslina@usim.edu.my

Abstract

This research seeks to identify the elements of cohesion in the lines of the letters sent by the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) as a means of building a bridge of external relations with the foreign parties of the great empires and the neighboring countries of Medina. After the treaty of Hudaibiah, on the sixth year of Hijrah, the Prophet took a new approach to spread Islam to the kings, princes, rulers and their people outside the borders of the Islamic State. These letters were composed and dictated by the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) to some of his companions, may Allah be pleased with them. The phrases and sentences with great meanings and propagation were uttered by Him to these writers. The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) chose a large number of his companions to carry his letters to the king of the designated state. The researcher used descriptive qualitative analysis to identify the elements of cohesion in the letters addressed to these kings and princes using the theory of Critical Discourse Analysis adopted by renowned linguist Norman Fairclough in the study and analysis of discourse. The research found four elements in grammatical cohesion, namely, reference, substitution, ellipses and conjunction in the folds of these letters. These consistent elements reflect the approach of the Prophet's unique discourse, which emphasized on the cohesion of sentences in terms of meanings and coherence of ideas and their consistency with the rest of the sentences in between the lines of those letters. These elements in the prophet discourse created a great influence on these kings and rulers because of the cohesion of ideas and their connectedness, which led to the success of the process of the discourse to al-Najashi, Hercules and al-Muqouqis that brought them to believe in the divinity of Allah and the last Prophet and Messenger.

Keywords: *Cohesion, Letters, Prophet, Medina, State*.

ملخص البحث

يروم هذا البحث إلى التعرف على عناصر الاتساق الكامنة في طيات الرسائل التي

اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة لبناء جسر العلاقة الخارجية مع الجهات الأجنبية من الإمبراطوريات العظيمة والدول المجاورة للمدينة المنورة. فقد انتهج الرسول بعد صلح الحديبية أواخر العام السادس من الهجرة هذا الأسلوب الجديد لنشر دعوة الإسلام إلى الملوك والأمراء والأشراف ورعاياهم خارج حدود الدولة الإسلامية. وهذه الرسائل هي التى أملاها الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه إلى بعض الكتّاب من الصحابة رضوان الله عليهم، فالعبارات والجمل التي تحمل معان جليلة وإيحاءات دعوية كانت تفوه بها فمه الشريف وذكرها لسانه الكريم على مسمع هؤلاء الكتاب، لتنتقل بعد ذلك إلى صفحات الرسائل المكتوبة الشريفة. وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم عددا كبيرا من أصحابه ليحمل كل واحد منهم رسالته الخاصة إلى ملك دولة معيّنة، ويسلمها إليه بيده وهو واقف بين يديه ليتأكد من استلامه الرسالة واستماعه إلى فحواها دعوة لهم إلى الإسلام. ويسير هذا البحث وفق التحليل الكيفي الوصفي للتعرف بالتفصيل على عناصر الاتساق الموجودة في الرسائل الموجّهة إلى هؤلاء الملوك والأمراء والأشراف مستعينا بنظرية تحليل الخطاب النقدي الذي تبنّاه الخبير اللغوي الشهير نورمن فيركلوس في دراسة الخطاب وتحليله. وقد تمكّن البحث من العثور على أربعة عناصر في الاتساق النحوي وهو الإحالة والاستبدال والحذف والراوبط. وهذه العناصر الاتساقية تعكس منهج خطاب الرسول الدعوي الفريد الذي راعى على تماسك الجمل بمعانيها وترابط الأفكار واتساقها ببقية أجزاء الجمل، مما أثّرت كل ذلك تأثيرا كبيرا في نفوس هؤلاء الملوك والأمراء، وأدّى إلى نجاح عملية الخطاب الدعوي المتمثّل بإقرار النجاشي وهرقل والمقوقس بألوهية الله الواحد الأحد وبرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين.

الكلمات المفتاحية: الاتساق، الرسائل، الرسول، المدينة، الدولة.

المقدمة

إن العلاقة مع الدول الخارجية التى بدأها الرسول صلى الله عليه وسلم في العام السادس من الهجرة يمكن أن تعتبر أول مبادرة جدية في تاريخ البشرية وأكبرها نشاطا وأوسعها نطاقا، وذلك عن طريق إرسال الرسائل إلى الملوك والأمراء وأشراف القوم، لدعوتهم إلى الإسلام. وهذه الطريقة الدعوية الفريدة ما أكده هاشم يحي الملاح (٢٠٠٤) حيث قال: "وقد أوردت المصادر التاريخية روايات تشير إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أرسل بعد صلح الحديبية برسائل إلى ملوك الإمبراطورية الساسانية والبيزنطينية وحكام مصر

وسوريا والحبشة يدعوهم فيها إلى قبول دعوة الإسلام".[١] ولم يكن هذا حاصلا لولا حسن التدبير وبعد النظر في سياسته الخارجية التي اتخذها إيذانا بعالمية هذا الدين والدعوة إلى الله. "فقد كان عليه أن يحيط بما يجري في الدول المجاورة ويتعرف أخبارها ويدعوها إلى الإيمان بالله".[٢]

وقد شرع الله سبحانه وتعالى بإرسال الرسل ومعهم رسائله إلى هؤلاء القادة والأمراء والملوك دعوة لهم إلى أسمى الرسالة على وجه الأرض من أجلها خلق آدم وذرياته أجمعين؛ وهي التوحيد في العبادة كما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته للمشركين في مكة المكرمة.[٣] ولهذا فقد استطاع الرسول أن يوجّه جهده إلى نشر دعوة الإسلام ويبدي جلّ اهتمامه في الدفاع عن الدولة من هجومات الكفّار والمشركين الشرسة وخاصة من قِبَل كفّار قريش التي حاولت القضاء على المسلمين في موطنهم الجديد،[٤] وذلك عن طريق إنشاء العلاقة الخارجية بهؤلاء القادة والأمراء والملوك خارج المدينة المنورة من خلال الرسائل الدبلوماسية المبعوثة إليهم. اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم المعاملة الدبلوماسية كوسيلة لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله وتعميمها في أنحاء العالَم.[٥] والرسائل المبعوثة إلى كبار الحكّام لم تكن تمتاز بجودة المضمون فقط، بل امتازت أيضا بدقّة اختيار الكلمات وتناسق الأسلوب والصيغة حسب كل مقام مقال، مما جعلتها رسائل دعوية فريدة في عهده صلى الله عليه وسلم لا سابق له فيها.

ومن الحكمة الرّبانية أن اختار الله عزّ وجلّ الرسول العربي الأمي ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، وحمّله رسالة الدعوة إلى الله بإذنه بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا لا تنحصر إلى العرب فحسب بل لتشمل العجم كما قال الله تعالى مبينا ذلك في كتابه العزيز ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (القرآن. سورة الأعراف: ١٥٨)، و﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (القرآن. سورة سبأ: ٢٨)' و﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (القرآن. سورة الأنبياء: ١٠٧).

يعد الرسول صلى الله عليه وسلم أول زعيم الدولة في تاريخ الحضارة البشرية الذي بدأ بمحاولة جدّية لبناء علاقات خارجية مع بعض الدول المجاورة للمدينة المنورة عن طريق إرسال الرسائل الدبلوماسية الدعوية إلى ملوك وأمراء المناطق والدول المجاورة، وإرسال بعض أصحابه إليهم؛ حيث أَرسل حاطبَ بْنَ أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وشجاعَ بنَ وهب الأسديّ إلى الحارثِ بنِ أبي شِمْر الغسّانيّ، ودحية إلى قيصر،

---

[١] الملاح، هاشم يحي. ٢٠٠٤. حكومة الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم. ص٢٧.

[٢] عرموش، أحمد راتب. ١٩٩١. قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية. ص١٩٧.

[٣] أبو زهرة، محمد. ١٩٩٥. العلاقات الدولية في الإسلام. ص٣٥.

[٤] خطّاب، محمود شيت. د. ت. الرسول القائد. ص٥٣.

[٥] الملاح، هاشم يحي، ٢٠٠٤. حكومة الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم. ص١٧٨.

وسليطَ بنَ عمرو العامريّ إلى هوذة بنِ عليّ الحنفيّ، وعبد اللّه بن حذافة إلى كسرى، وعمرو بنَ أميّة الضَّمْريّ إلى النّجاشيّ، والعلاءَ بن الحضرميّ إلى المنذرِ بنِ سَاوَى أَخِي عَبْدِ الْقَيْسِ،[٦] وغيرهم من الصحابة. ومن اللافت للنظر، أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالخصائص الموجودة للدعاة، بل وضع معايير وأوصافا معينة للأشخاص المختارين من أصحابه للذهاب إلى البلدان الأجنبية نيابة عنه وعن الدولة الإسلامية، وقد اختار فعلاً مِن أصحابه مَن تتوافر لديهم هذه الشروط والمعايير ليصبحوا ممثليه وسفرائه في الخارج.

ومن أهمّ خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم لغته الخطابية التى ألقاها في أحاديثه الشريفة. لغة خطابه قد لفتت أنظار العلماء والباحثين وجعلهم يقفون أمامها للعكوف عليها بالدراسة والتحليل. فقد قام مصطفى صادق الرافعي (١٩٦٥) في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" ببيان خصائص بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم واعتبرها بلاغة إنسانية عجيبة لما فيها من الكمال والجمال والدقة فى اختيار الكلمات تعجز البشرية أجمع عن الإتيان بمثلها، فهي بلاغة تنبثق من القلب الذي يؤمن إيمانا قويا برب العباد.[٧]

تبدو هذه الميزة جلية لو أمعنا النظر في لغة خطاب الرسول الدبلوماسي حيث عبّر في رسائله بكل دقة وإيجاز(concise and precise)، المعاني والأفكار تناسب من يوجّه إليه رسالته. فشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم كقائد الدولة ورائد العلاقة الدبلوماسية الداخلية والخارجية في عهده تبرز ساطعة من خلال استخدامه الخطاب الدبلوماسي الدقيق الموجز للتبليغ رسالة الدعوة التوحيدية إلى رؤساء وأمراء وملوك الدول المجاورة لدولته.

ولإنجاح دعوته فلا بد أن تتوافر في رسائله الشريفة سمات وخصائص الخطاب الدعوي ومن أهمها الاتساق النحوي حتى يستطيع أن يؤثر في قرائه. لذا يقوم هذا البحث بإلقاء الضوء على معنى الخطاب الدعوي ثم يندرج إلى مفهوم الاتساق النحوي ونشأته وتطوره، ويمتد بعد ذلك إلى توضيح أثره في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتم كل ذلك باتباع منهج التحليل الوصفي الموضوعي والكيفي، مقتصرا على ثلاث رسائل من بين ثلاث مائة فأكثر من رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلها إلى الملوك والأمراء الذين كانوا على الديانة المسيحية من داخل الجزيرة العربية وخارجها. هذه الرسائل الثلاث هي: الرسالة المرسلة إلى النّجاشي إمبراطور الحبشة، والرسالة الموجّهة إلى هرقل عظيم الروم، والرسالة المقدمة إلى المقوقس عظيم القبط.

---

[٦] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. ١٩٩٧. الكامل في التاريخ. ٢: ٩١.

[٧] الرافعي، مصطفى صادق. ١٩٦٥. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ص٢٧٩.

مفهوم الخطاب وتطوره

الخطاب كما بيّنه ابن المنظور يعني به مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ.[٨] ويفهم من كلامه بأن الخطاب يكون بين الشخصين أو بين المخاطب والجمهور وهذا يعني أنه لا بد أن يكون الخطاب منطوقا أو شفهيا.

وجاء في أساس البلاغة، "هو المواجهة بالكلام".[٩] وهذا يطابق بما ذهب إليه ابن المنظور بأن الخطاب يكون تفاعلا بين الطرفين أو أكثر. وعندما تطورت الدراسات اللغوية ودخلت طورها الحديث أضيفت إليها دراسة جديدة تعرف بـ"تحليل الخطاب"، وأول مَن تكلّم في هذا الجانب هو زيلنج هاريس في مقالة له بعنوان "تحليل الخطاب" عام ١٩٥٢. حيث ركّز بحثه حول العناصر اللغوية الموجودة في النصوص والروابط الكائنة بين النص وسياقه الاجتماعي. ثم تبعه بعد ذلك دراسات أخرى مثل دراسة دل هايمس عام ١٩٦٠، فقد أظهر اهتمامه في الحدث الكلامي في مواقفه الاجتماعية.

وذهب هاليدي ١٩٧٣، مؤكدًا إلى أنّ دراسة اللغة لا بد أن تكون في هيكلها الاجتماعي الذي يمهد الطريق للنظر في اللغة من خلال المستويين؛ المستوى الاجتماعي الكلي والمستوى الاجتماعي الجزئي. وقد لقي هذا الاتجاه الجديد اهتماما كبيرا من المعنيين بدراسة اللغة واللغويين التطبيقيين بالإضافة إلى اهتمام الاجتماعيين والأنتروفولوجيين وخبراء الحاسوب والقانون والاتصال. وبهذا تطور تحليل الخطاب عبر العقود الأربعة الماضية وأصبح له عدة مدارس تختلف حسب المنهج والنظرية والتركيز والهيكل ووجه المقاربة.[١٠] وبهذا أصبح مفهوم الخطاب في اللسانيات الحديثة شاملا على النصوص اللغوية المنطوقة والمكتوبة بالإضافة إلى الرموز السيميائية المحيطة بالنصوص ذاتها.

وفي بداية القرن الحادي والعشرين جاء نورمن فيركلاوح [١١] من أشهر اللغويين في هذا القرن– بالتركيز على دراسة نص الخطاب وتطويره بالتحليل النقدي (Critical Discourse Analysis)، حيث يقوم على دراسة الإجراء والأداء الاجتماعي إلى جانب دراسة العناصر النصّية الموجودة في الخطاب. لقد وضع نظريته هذه على أن الخطاب لا بد أن يتكوّن من ثلاثة جوانب: أولا دراسة النص نفسه شفهيًا كان أم مكتوبًا. ثانيا: أداء الخطاب أي إنتاج النص وتفسيره. ثالثا: الأداء الاجتماعي الثقافي. وبناء على هذا، فنظرية تحليل الخطاب تتضمن الوصف اللغوي لنص اللغة، *وتفسير* العلاقة الكائنة بين إجراء الخطاب والنص، *وتوضيح* العلاقة الكائنة بين إجراء الخطاب والإجراء الاجتماعي.

---

[٨] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري. ١٤١٤هـ. لسان العرب. ١: ٣٦١.

[٩] الزمخشري، محمود جار الله. ١٩٨٥. أساس البلاغة. ١: ٢٣٨.

[10] Vijay K. Bhatia et al. 2008. *Approaches To Discourse Analysis*. Advances in Discourse Studies. p 1-2; Micheal Mc Carthy. 1993. *Discourse Analysis for Language Teachers*. p5-7.

[11] Fairclough, Norman. 2010. *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. London: Longman. p132.

يتميز نص الخطاب بسبعة خصائص، وهي الانسجام والمقصدية والتقبلية والإعلامية والموقفية والتناص والاتساق. ويشترك كل إنسان في تلك الخصائص أثناء ممارستهم الخطاب إنتاجا واستقبالا. ويعد عنصر الاتساق من أهم خصائص النص، وعليه يقوم هذا البحث بتحليله مبيّنًا أهميته في رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مفهوم الاتساق في الخطاب

ورد مفهوم الاتساق لأول مرّة في كتاب، الاتساق في اللغة الإنجليزية، الصادر عام ١٩٧٦ للكاتبين هاليدي ورُقية حسن، ويقصدان به البنية اللغوية التي تتكوّن من الكلمات المتناسقة المعنى.

نال دراسة الاتساق في تحليل الخطاب إعجاب العديد من اللغويين أمثال روبرت دي بوجرانت (١٩٩٨) ومايكل ملك كارثي (١٩٩١) وكيم بالرد (٢٠٠٥) ورودني جونس (٢٠١٢)، حيث عالجوا فكرة الاتساق بالتفصيل في كتبهم وخصّصوا له بابًا أو فصلا مستقلا، قاموا بتوضيح المسائل المتعلقة به وبيان ما يدور حول العلاقات الدلالية الموجودة في النص. فقد ذكر روبرت دي بوجرانت بأنّ الاتساق هو إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط.[١٢]

بينما قام مايكل ملك كارثي بشرح فكرة الاتساق مسترسلا بربط تحليل الخطاب مع الناحية النحوية في باب، وربطه مع الناحية المعجمية أو اللفظية في باب آخر، ونبّه بأهمية معرفة الاتساق النحوي والمعجمي معًا لفهم العناصر السطحية والعلاقات الدلالية الكائنة في التراكيب والجمل كتابة كانت أو شفهية، وأنّ الاتساق الخطابي يظهر جليًّا بَعد معرفة هذه الخصائص اللغوية الموجودة في النص.[١٣]

وأمّا كيم بَالرْد فقد ربط بين الاتساق والنصّية ويرى بأن أيّ نص نقرأه لا بد أن يكون فيه حدّ أو نوع من الاتساق حتى يمكن أن يقال عنه بأنه نص متسق المعنى، أي تلتصق فيه عدة جمل بعضها بعضا. وتأتي نصية النص عندما ترتبط هذه الجمل والتراكيب ويكون تسللها مترابطا في النص ولا يمكن أن يتصور بأنها خارجة عن نطاق ذلك النص.[١٤]

وجاء ورودني جونس، حيث نوّه بفكرة الاتساق في النص وأومأ إليها بضرورية معرفة العلاقات الكائنة في النص من خلال معرفة الأدوات التي تؤدي إلى ترابط النص سواء عن طريق الإحالة أو الحذف أو الإبدال أو الروابط أو التكرار أو التلازم اللفظي.

---

[١٢] روبرت دي بوجراند. ١٩٩٨. النص والخطاب والإجراء. ترجمة د. تمام حسان. ص١٠٣.

[13] McCarthy, M. 1991. *Discourse Analysis for Language Teachers*. p35.

[14] Ballard, Kim. 2005. *Interpreting Texts*. p19.

يتجلى مما سبق أنّ الاتساق في الخطاب يتم عن طريق اتحاد العناصر اللغوية الموجودة فيه ليتّسق المعنى ويستقيم مراده من خلال تسلل هذه العناصر اللغوية وانسجامها في سياق معيّن. وبعبارة أخرى، الاتساق في الخطاب يتعلق إمّا من الناحية النحوية حيث يتم عن طريق ترتيب الكلمات المناسبة لتصبح جملا متّسقة المعنى أو من الناحية اللفظية التي يتم عن طريق اختيار الكلمات المناسبة من حيث تلازمها اللفظي أو تكرارها. وهو ما يشير إليه علماء اللغة بعملية انتقال المعنى من المبنى في الاتصال اللغوي.[١٥]

وبناء على هذا، قسّم هاليدي ورُقية حسن الاتساق إلى قسمين أساسيين وهما الاتساق النحوي والاتساق اللفظي أو المعجمي. فالاتساق النحوي يتم عن طريق الإحالة، والإستبدال، والحذف والوصل. وأما والاتساق اللفظي أو المعجمي يتم عن التكرار واللازم اللفظي.[١٦] وذكر الخطابي مؤكدًا أنّ الاتساق لا يكون في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم.[١٧]

عناصر الاتساق النحوي في رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن طيّات الرسائل التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء الملوك والأمراء الذين كانوا على الدّيانة المسيحية حافلة بعناصر الاتساق النحوي الأربعة التي ذكرناها آنفاً وهي الإحالة والاستبدال والحذف والوصل –كما في الرسم البياني التالي– وكلها تساهم في اتساق المعنى ووضوح الفكرة الدعوية التي تثير رغبة هؤلاء الملوك والأمراء لمعرفة فحواها وقبول دعواها.

الرسم البياني لعناصر الاتساق النحوي

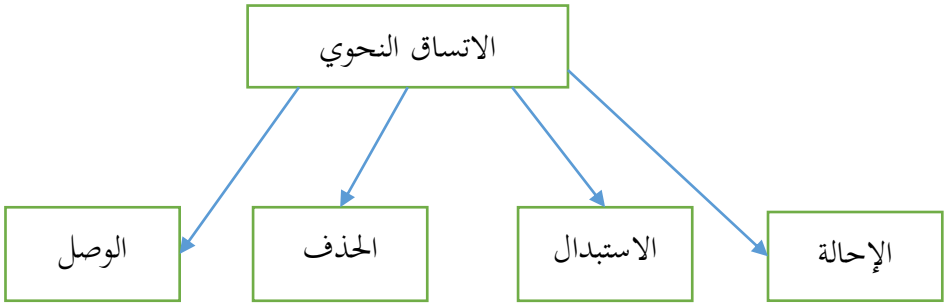

العنصر الأول: الإحالة

يبدو من الرّسم البياني السابق أنّ الاتساق بالإحالة يأتي في مقدمة الأقسام الأربعة لعناصر الاتساق النحوي. والإحالة هي تركيب لغوي يشير إلى وجود علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء

[١٥] مصطفى حميدة. ١٩٩٧. نظام الارتباط والربط. ص١٩.

[١٦] الخطابي، محمد. ٢٠٠٧. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص١٥.

[١٧] المرجع السابق.

أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق أو يدل عليها المقام، حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة قصدتْ عن طريق ألفاظ أخرى، أو عبارات أو مواقف لغوية، أو غير لغوية.[١٨] وبهذا تعدّ الإحالة من الوسائل المهمة في تحقيق تماسك النص وتشكيل انسجام المعنى.

إن الألفاظ التي تشير إلى أشياء سابقة تُعرف بالإحالة القبلية، وهذا النوع من أكثر عناصر الاتساق النحوي شيوعًا في رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأهم هذه الألفاظ الضمائر. فظاهرة الإحالة بالضمائر واضحة في اللغة العربية، إذ لا نكاد نجد أي نص يخلو من استخدام الضمائر فيه، فهو يساعد على تحقيق ترابط المعنى واتساقه. فالضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحلّ الضمير محلّ كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل. وأهم ظاهرة في الضمائر أنها تربط بين أجزاء النص.[١٩] ومن صور الإحالة بالضمائر الموجودة في رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم متنوعة، تختلف باختلاف السياق والمقام بين التكلّم والخطاب والغيبة.

ومن نماذج الإحالة بضمير المتكلّم والمخاطب والغائب في رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يلي:

الرقم	الرسائل	الإحالة بضمير المتكلم	الإحالة بضمير المخاطب	الإحالة بضمير الغائب
١.	(س١) الرسالة المرسلة إلى النّجاشي إمبراطور الحبشة.	أحمد- وأشهد- أدعوك- قد بلّغت ونصحت- وتتبعني	إليك- تتبعني وتؤمن- وجنودك- فاقبلوا	لا إله إلا هو- ألقاها- مريم البتول فحملتْ- من روحه ونفخه- وخلق آدم بيده.
٢.	(س٢) الرسالة الموجّهة إلى هرقل عظيم الروم.	فإني- أدعوك	يؤتك الله- أدعوك- أجرك مرتين- أسلم تسلم- فإن عليك- وإن توليت.	
٣.	(س٣) الرسالة المقدّمة إلى المقوقس عظيم القبط	فإني- أدعوك-	أسلم تسلم- يؤتك الله أجرك مرتين- فإن توليتَ- فعليك.	عبد الله ورسوله.

[١٨] سارا حاج أحمد. ٢٠٠٩. الإحالة الاتساقية في النص والقرآنية في سورتي البقرة وآل عمران. ص٢١.

[١٩] الفقي، صبحي إراهيم. ٢٠٠٠. علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية. ص١٣٧.

يتضح مما سبق أنّ الإحالة بضمير "أنا" و"ياء المتكلم" في "أحمد" و"قد بلغت ونصحت" و"فإني أدعوك" له تأثير جلي ووقعة لطيفة في قلوب هؤلاء الملوك والأمراء أثناء قراءتهم الرسالة، كما يُشعرهم بقرب مرسل الرسالة منهم ودنوّه إليهم خاصة حينما استهل في تلك الرسائل بذكر اسمه محمد رسول الله، ثم انتقل مباشرة إلى السطر الذي يليه مخاطبًا قومه باستخدام الإحالة بضمير المتكلم قائلاً "هأنا أخاطبكم وأتكلم معكم". يبدو جليًّا أنّ ربط أجزاء النص بضمير المتكلم أدى إلى تماسك المعنى وترابط الفكرة.

ويزداد الاتساق تماسكا في المعنى وترابطا في المراد باستخدام الإحالة بضمير المخاطب، حيث استخدم الرسول صلى الله علي وسلم ضمير المخاطب بعد سرد الأسماء والمكانة كما في قوله "إليك" و"أدعوك" و"يؤتك" و"أجرك" و"أسلم تسلم"، فضمير الخطاب المتصل "ك" والمنفصل "أنت" يشعران السامع بقرب المخاطبة ودنوّ مقام الخطاب وكأنما صاحب الرسالة قريب جدا منهم.

ومما يزيد الاتساق تماسكا في المعنى وترابطا في الفكرة استخدام الإحالة بضمير الغائب. فقد لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابة رسائله إلى الملوك والأمراء إلى استخدام ضمير الغائب، وذلك حين عبّر بـ "لا إله إلا هو" و"ألقاها" و"مريم البتول فحملت" و"من روحه ونفخه" و"خلق آدم بيده"، فضمائر "هو" و"هي" وتاء التأنيث تجعل النص يكتسب تسلسله ورصانته ويجعل المعنى واضحا متّسقا في نفوس هؤلاء الملوك والأمراء.

العنصر الثاني: الاستبدال

يقوم الاستبدال بدوره في تحقيق تماسك المعنى وترابط الفكرة الموجودة بين أسطر النص سواء في مستوى الكلمات أو التراكيب أو الجمل. ويكون الاستبدال عن طريق استبدال لفظ لاحق بما سبقه بغرض الاختصار. ويشترط في الاستبدال أن تكون للكلمة المستبدلة علاقة بالكلمة اللاحقة لها في النص. ويتنوع الاستبدال إلى الاستبدال الاسمي والاستبدال الفعلي والاستبدال التركيبي.

ويتجلى عنصر الاستبدال في رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجّهة إلى النّجاشي إمبراطور الحبشة. أمّا الرسالة الموجّهة إلى هرقل عظيم الروم والرسالة المقدّمة إلى المقوقس عظيم القبط تخلوان من هذا العنصر. ومن نماذج الاستبدال قوله: "ابن مريم" فهي بديلة من كلمة عيسى عليه السلام. وقوله "روح الله" بديلة من عبارة عيسى ابن مريم روح الله، وهو ابن بشر مخلوق ونبي فضّله الله على سائر خلقه بنفخه الروح من عنده. وقوله "البتول الطيبة الحصينة" بديلة من كلمة مريم البتول التي اختارها الله وعظّم شأنها على بقية نساء العالمين. وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة مريم عليها السلام بذكر صفة البتول والطيبة والحصينة مبينًا الصفات الخاصة بها لعفتها وشرفها وعلوّ شأنها وتنزيهها من الفواحش.

وإلى جانب ذلك، استبدل الرسول صلى الله عليه وسلم في رسالته هذه ضمير المخاطب للمفرد المذكر إلى ضمير الجمع مخاطبًا النجاشي عظيم الحبشة لتعظيم شأنه ومكانته كقوله: "فاقبلوا" بدلاً من

كلمة "فاقبل" أي النصيحة. فاتساق المعنى من هذا الجانب يؤدي إلى انشراح صدر النجاشي، لأنّ تلك الأوصاف الواردة في الرسالة وجدها متفقة تمامًا كما في الإنجيل. وهذا الاتساق يؤدي به للإذعان والخضوع بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من أمر الدّعوة إلى الله وحده وأنّه رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين.

العنصر الثالث: الحذف

معنى الحذف لغة: القطع والإسقاط. واصطلاحا يقصد به اسقاط صيغ داخل بعض التراكيب اللغوية.[٢٠] وحدده هاليدي ورقيه حسن بأنه علاقة داخل النص أي علاقة قبلية.[٢١] ويفهم الحذف بوجود دليل أو برهان كمفسر على المحذوف. وهذا الدليل الموجود في النص هو الذي يساعد القارئ أو السامع على فهم معنى النص، ولا يوقعه في الخطأ أو اللَبس.

ولمعرفة المحذوف لها طريقتان:

أ- تارة يفهم المعنى المحذوف بالرجوع إلى الدليل الموجود بالنص، وذلك بالنظر إلى سياق العبارة. كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في رسالته إلى هرقل عظيم الروم "من محمد رسول الله"، يفهم المراد المحذوف في هذه العبارة بالرجوع إلى سياق النص فيجد المحذوف هو هذه الرسالة من محمد رسول الله. فبهذا الحذف يزيد النص اختصارا ورصانة في الاتساق النحوي.

ب- وتارة أخرى يرجع إلى الكتب العلمية أو الدينية مثل كتب التفسير والحديث لمعرفة المحذوف. كقول رسول الله في رسالتيه إلى النجاشي إمبراطور الحبشة والمقوقس عظيم القبط "سلام على من اتبع الهدى"، ففي هذه العبارة لا يمكن أن يكون للسياق دليل إلى معرفة المحذوف بل لا بد من اللجوء إلى كتب التفسير وشرح الحديث لمعرفة المحذوف والمعنى المراد منها. قال بعض أهل التفسير: ليس المراد بها التّحية والدعاء، إنما معناها سلِم من عذاب الله من أسلم. وقيل معناها: سلام الملائكة في الجنة على المهتدين. وقيل: السلامة لمن اتبع هدى الله تعالى.[٢٢] وقال ابن كثير في كتابه التفسير أنّ معناها: والسلام عليك إن اتبعت الهدى.[٢٣] والمحذوف في هذه العبارة لا يمكن تأويله بل لا بد من الرجوع إلى كتب التفسير والحديث. وبذلك يتضح دور المحذوف في إيجاد الترابط والاتساق بين أجزاء النص في هذه الرسائل.

---

[٢٠] أبو المكارم، علي. ٢٠٠١. الحذف والتقدير في النحو العربي. القاهرة: دار غريب. ص١٩٦.

[٢١] الخطابي، محمد. ٢٠٠٧. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص٢١.

[22] http://fatwa.islamweb.net.

[23] http://fatwa.islamweb.net.

العنصر الرابع: الوصل

الوصل هو جمع وربط بين جملتين بـالواو خاصة لصلة بينهما في الصورة والمعنى أو لدفع اللَّبس. فاللغة العربية تستخدم الروابط للإشارة إلى تسلسل أجزاء النص، وإيجاد العناصر الرابطة بين أجزائه. وتتنوع الروابط في العربية إلى أنواع كثيرة منها الروابط بالحروف والأسماء والأدوات الدالة على السبب والنتيجة وروابط الاستشهاد والتمثيل وغيرها.

ويختلف عنصر الروابط –من جانب الاتساق النحوي في النص– عن علاقة الاتساق السابقة، حيث لا تتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، كما هو الحال في شأن الإحالة والاستبدال والحذف. بل يعدّ النص عبارة عن جمل متتالية ومتعاقبة خطّيا، وتحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص حتى تكون وحدة متماسكة.[٢٤]

ومن نماذج الاتساق بالوصل في رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجّهة إلى النّجاشي إمبراطور الحبشة قوله: "فإني أحمد إليك الله" ربطه بـالواو "وأشهد أنّ عيسى ابن مريم". وعبارة "روح الله وكلمته" ربطه بـالفاء "فحملت بعيسى من روحه ونفخه" و"والموالاة على طاعته" و"وأن تتبعنى وتؤمن بالذي جاءني"، وكما نجد وفي الرّسالة الموجّهة إلى هرقل عظيم الروم يقول: "فإني أدعوك بدعاية الإسلام" ربطه بالواو "وإنْ توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين". وكذلك نجد الربط بالواو أيضًا في قوله "وإنْ توليت فعليك إثم القبط" في الرسالة الموجهة إلى المقوقس. نجد الاتساق بالوصل في هذه الرسائل كله على نوع الوصل بحروف العطف فقط، منها الواو والفاء. فعنصر الوصل هنا يشير إلى تسلسل أجزاء النص، وتؤكد حدوث الاستمرارية والترابط بين فقراته. وهذا النوع من الوصل يعرف بالربط الإضافي عند هاليدي ورقية حسن.[٢٥]

والجدير بالذكر، أن الاتساق النحوي بالوصل يشير إلى قوة الربط بين كلمة ولاحقها أو بين جملة وسابقها وللدلالة على معنى الجمع والتعقيب والجواب. كما في العبارات الواردة في رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجهة إلى النجاشي في قوله: "أدعوك وجنودك" تدل على معنى الجمع. وكما أن الوصل يزيد الربط والتماسك بين الجمل في رسالته الموجهة إلى هرقل حيث وصلها بالفاء والواو "أما بعد، فإني على أدعوك" تدل على التعقيب. و"وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين" تدل على الجواب.

وهناك مثال واحد يأتي الاتساق بلا وصل بروابط الحروف، بل في شكل روابط الاستشهاد والتمثيل. ومن نماذج ذلك نجده في الرسالة الموجهة إلى النجاشي حين بيّن له الرسول صلى الله عليه وسلم قدرة الله في خلق البشر من العدم كيفما شاء وقدّر، حيث شبّه الرسول صلى اله عليه وسلم خلْق عيسى

---

[٢٤] الخطابي، محمد. ٢٠٠٧. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص٢٢.

[25] Halliday, M. A. K., Ruqaiya Hasan. 1976. *Cohesion in English*. London: Longman.

ابن مريم بخلق أدم عليهما السلام، قائلا: " فحملتْ بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده". فقوي المعنى بمجرد سماع هذا الوصل الإضافي لقرب تصور العقل في قدرة الله بخلق عيسى من دون الأب كقدرته بخلق آدم من العدم بدون الأب والأم. فوظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة.[٢٦]

الخاتمة

من خلال التحليل السابق لعناصر الاتساق المختلفة في الرسائل التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، يتضح دوره ومدى أهميته في تأكيد تسلسل المعنى وضمان انسجام النص وترابطه. فعن طريق الاتساق استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب هؤلاء الملوك والأمراء بأسلوب موجز يقرب ما يريد أن يبلغه من المعاني في نفوسهم وأذهانهم، فيذعنون به وينقادون لاتباعه.

وكذلك يلاحظ أن استخدام الاتساق في أسطر هذه الرسائل وردَ كثيرا من النوع الأول والرابع وهما الإحالة والوصل مقارنة بالنوعين الآخرين، الاستبدال والحذف. فمثلا عن طريق الإحالة القبلية استخدمت هذه الرسائل الشريفة كثيرا الضمائر، فهو من الوسائل المهمة في تحقيق ترابط المعنى واتساقه، إذ ينوب عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية. وإلى جانب ذلك، يلعب الوصل دورًا هاماً في ربط المعاني وتقويتها في نفوس السامعين لنصّ الرسالة وإيجاد استمرارية الأفكار وترابطها داخل نص الرسالة.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. ١٩٩٧. الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. ١٤١٤هـ. لسان العرب. الطبعة: الثالثة. بيروت: دار صادر.

أبو زهرة, محمد. ١٩٩٥. العلاقات الدولية في الإسلام. القاهرة: دار الفكر العربي.

أبو المكارم، علي. ٢٠٠١. الحذف والتقدير في النحو العربي. القاهرة: دار غريب.

بوجراند، روبرت دي. ١٩٩٨. النص والخطاب والإجراء. ترجمة د. تمام حسان. الطبعة الأولى. القاهرة: عالم الكتب.

حميدة، مصطفى. ١٩٩٧. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.

[٢٦] الخطابي، محمد. ٢٠٠٧. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص٢٤.

الخطابي، محمد. ٢٠٠٧. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. إربد الأردن: عالم الكتب الجديد.

خطاب، محمود شيت. د.ت. الرسول القائد. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

الرافعي، مصطفى صادق. ١٩٦٥. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

الزمخشري، محمود جار الله. ١٩٨٥. أساس البلاغة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سارا حاج أحمد. ٢٠٠٩. الإحالة الاتساقية في النصوص القرآنية في سورتي البقرة وآل عمران. ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية.

عرموش، أحمد راتب. ١٩٩١. قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية. بيروت: دار النفائس.

الفقى، صبحي إبراهيم. ٢٠٠٠. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

الملاح، هاشم يحي. ٢٠٠٤. حكومة الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم. بيروت: دار العربية للموسوعات.

REFERENCES

Abu al-Makarim, Ali. 2001. *al-Hazf wa al-Taqdir fi al-Nahw al-Arabiyy*. Al-Qahirah: Dar Gharib.

Abu Zahrah, Muhammad. 1995. *Al-Alaqat al-Dawliyyah fi al-Islam*. Al-Qahirah: Dar al-Fikr al-Arabiy.

Ballard, Kim. 2005. *Interpreting Texts*. London: Routledge.

Bhatia, Vijay K., et al. 2008. *Approaches To Discourse Analysis. Advances In Discourse Studies*. New York: Routledge.

Fairclough, Norman. 1992. *Discourse and Social Change*. Cambridge: Polity Press.

Fairclough, Norman. 2010. *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. London: Longman.

Al-Faqa, Subhiyy Ibrahim. 2000. *Ilm al-Lughah al-Nassiy Bayna al-Nazariyyah wa al-Tatbiq Dirasah Tatbiqiyyah Ala al-Suwar al-Makkiyyah*. Al-Qahirah: Dar Quba li al-Tiba'ah wa al-Nasyr wa al-Tawzi'.

Halliday, M. A. K. & Ruqaiya Hasan. 1976. *Cohesion in English*. London: Longman.

Hamidah, Mustafa. 1997. *Nizam al-Irtibat wa al-Rabt fi Tarkib al-Jumlah al-Arabiyyah*. Al-Qahirah: al-Sharikah al-Misriyyah al-Alamiyyah li al-Nashr.

Jones, Rodney. 2012. *Discourse Analysis A Resource Book for Students*. London: Routledge.

Al-Khattabiy, Muhammad. 2007. *Lisaniyyat al-Nas Madkhal Ila Insijam al-Khitab*. Irbid: Alam al-Kutub al-Jadid.

Al-Mallah, Hashim Yahya. 2004. *Hukumat al-Rasul al-Mustafa Salla Allah Alaihi wa Sallam*. Beirut: Dar al-Arabiyyah li al-Mawsu'at.

Al-Rafi'iyy, Mustafa Sadiq. 1965. *I'jaz al-Quran wa al-Balaghah al-Nabawiyyah*. Misr: al-Maktabah al-Tijariyyah al-Kubra.

Al-Zamakhsyariy, Mahmud Jar Allah. 1985. *Asas al-Balaghah*. Al-Qahirah: al-Hay'ah al-Ammah al-Misriyyah li al-Kitab.

Armush, Ahmad Ratib. 1991. *Qiyadah al-Rasul Salla Allah Alaihi wa Sallam al-Siyasiyyah wa al-Askariyyah*. Beirut: Dar al-Nafa'is.

Beaugrande, Robert De. 1998. *al-Nas wa al-Khitab wa al-Ijra*. Turjumah: Dr. Tammam Hasan. al-Tab'ah al-Ula. Al-Qahirah Alam al-Kitab.

Ibn al-Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karan Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaybaniy al-Jazariyy. 1997. *al-Kamil fi al-Tarikh*. Tahqiq: Umar abd al-Salam Tadmiriyy. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabiyy.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukrim ibn Ali, Abu al-Fadhl, Jamal al-Din al-Ansariyy al-Ruwayfi'iyy al-Ifriqiyy. 1414H. *Lisan al-Arab*. al-Tab'ah al-Thalithah. Beirut: Dar Sadir.

Kattab, Mahmud Shit. N.D. *al-Rasul al-Qa'id*. Beirut: Manshurat Dar Maktabah al-Hayah.

McCarthy, M. 1991. *Discourse Analysis for Language Teachers.* United Kingdom: Cambridge University Press.

Sara Ahmad. 2009. *al-Ihalah al-Ittisaqiyyah fi al-Nusus al-Qur'aniyyah fi Suratay al-Baqarah wa Al Imran*. Maliziya: al-Jami'ah al-Islamiyyah al-Alamiyyah.

http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=59800 (retrieved on 5 Feb 2018).

نفي

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.